مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321) (Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

" أثر رأس المال الرمزي للولي فى زيارة اضرحة الأولياء بمدينة الرباط بالمغرب"

" دراسة ميدانية في الانثروبولوجيا"

د| محمد عبدالراضي محمود سالمان

prof_mohamedabdo@yahoo.com

مدرس بكلية الدراسات العليا الافريقية

جامعة القاهرة

د| مروة محمد تهامي

prof_mohamedabdo@yahoo.com

مدرس بكلية الدراسات العليا الافريقية

جامعة القاهرة

تاريخ استقبال البحث: ٢٠٢١/٨/٢٠
تاريخ قبول النشر :٢٠٢١/١٠/٢٧

المستخلص:

الهدف: تسعى الدراسة إلى التعرف على أثر رأس المال الرمزي للولي فى زيارة الاضرحة والمقامات بالمغرب، ورصد الممارسات الثقافية المرتبطة بتلك الزيارة. المنهجية: بلغ عدد افراد العينة (١٥) من الاخباريات بمدينة الرباط بمملكة المغرب راوحت اعمارهم (٢٠-٥٠) سنة، وقد أُستخدم دليل المقابلة كأداة رئيسية للدراسة ويشمل الدليل اربع محاور اساسية وهي: المحور الأول: يرصد البيانات الأولية والخصائص الاجتماعية، الثاني يرصد مؤشرات رأس المال الرمزي لدى الولي، المحور الثالث يرصد النزعة الاحيائية للأولياء والقدرة على اشباع الاحتياجات النفسية والاجتماعية، المحور الرابع يتناول التصنيف الوظيفي للأولياء فى المجتمع المغربي. اعتمدت الدراسة على المنهج الانثروبولوجي، وعلى التفاعلية الرمزية والتأويلية كتوجهات نظرية للدراسة. النتائج: يمتلك الولي أو صاحب الضريح رأس مال رمزي من خلال اربع مؤشرات وهي: حفظ القرآن الكريم، النسب الشريف، السمعة الطيبة، الشرف والامانة. يلعب رأس المال الرمزي دورا حيويا فى تزايد الاقبال على زيارة الاضرحة. يمارس الولى أو الضريح هيمنه رمزية نتيجة امتلاكه لرأس المال الرمزي على زائريه تتحدد فى التزام آداب الجلوس،آداب الزيارة، وعدم الحديث فى حضرته. تلعب النزعة الإحيائية دورا كبيرا فى تزايد الإعتقاد بقدرات الولي.الخلاصة: يمارس الولي هيمنه رمزية على مريدية نتيجة امتلاكه لرأس المال الرمزي.

رأس المال الرمزي ؛الولي ؛ الهيمنة الرمزية ؛التفاعلية الرمزية

مقدمة: -

يعد المغرب العربي من بين أكبر البلدان الإسلامية احتضانا لظاهرة الأضرحة والمزارات فلا تكاد تجد تلا وسهلا ولا مدينة إلا وقد شيد فيها ضريح أو مزار إلى حد الذي وصف فيه المغرب ببلد المائة ألف ولي، ومن هنا يمكن القول أن التصوف والولاية كانا خطابين لأزمنه اجتماعية بامتياز ومنفذ للهروب من واقع متأزم بحثا عن بدائل تعيد التوازن بين الذات والسلطة والمال(خذيري، ٢٠١٧: ٥٣).وانطلاقا من هذه القاعدة الفكرية نجد أنه لا تخلو مدينة من مدن العالم الاسلامي بصفة عامة والمغرب العربي بصفة خاصة من وجود ضريح عالم كبير أو زاهد جليل، حتى تواترت لدى قدامى المغاربة المقولة المشهورة " المشرق أرض الأنبياء والمرسلين؛ المغرب أرض الأولياء والصالحين" (الثعالبي، ٢٠١٦: ١٤٢).

ومن المؤكد أن كل جماعة بشرية تبتدع تمثيلاتها للعالم المحيط بها، فهي تبين على نحو منتظم حكمة وجود التنظيم الاجتماعي والثقافي وتضفى طابعا طقوسيا على الروابط بين البشر وعلى العلاقة بينهم وبين بيئتهم، وحتى تتمكن الجماعة البشرية من مواجهة تحديات محيطهم فإنهم ينشئون عالم المعنى والقيم التي تجعل الوجود الجمعي ممكنا (لوبروتون، ١٩٧٩).

فجوهر هذا العالم يكمن فى إضفاء المعنى على الأشياء وهذا المعنى يشكل الوعي ليتخذ شكل انماطًا سلوكية وافعالاً مقبولة، ولابد لهذه الأفعال أن تكون مقبولة داخل الجماعة الواحدة، فالحاجة لإضفاء معنى وقيمة للسلوك أو الأفعال هي حاجة نفسية قبل أن تكون جمعية (التابعي،١٩٩٥).

لذا فإن نظرة الانثروبولوجين لظاهرة زيارة الاضرحة اتخذت طريقة الخروج عن العالم المادي إلى العالم الروحي ممثلا فى الرمز- الولي الصالح - واعتبرت محاولة الهروب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس بمثابة المنقذ من مصاعب الحياة. فالولي الصالح يعد بمثابة الوسيط الذي يساعد مريديه على النجاة، حيث يحظى الولي الصالح بمنزلة عالية فى وسط محيطه الاجتماعي، فمن بعض الممارسات الدالة على ذلك هو زيارة ضريح الولي وتقبيل قبره وكذلك أداء اليمين باسمه (اسامة وزهرة،٢٠١٨: ٢٠٢)

إذن فكل وصف للعالم هو ترميز؛ أي انه تأويل تقاس قيمته بقدر المساندة الجمعية التي يستحثها، وبقدر فاعليته إزاء التوقعات المشتركة التي خلقها، فالإنسان لا يحيا فى عالم مادي خالص بل فى عالم من المعنى والقيم.

أولا: إشكالية الدراسة:

تلجأ المجتمعات إلى الرموز لكونِّها لغة ونظاماً. هي تتيح تنظيم فاعليها وفق قواعد مقبولة. والأهم أنها تضفي معاني على ما يقومون به. ومع تطور المجتمعات أضحت الرموز بمثابة مجال متفرد بواسطة الشفرات التي تحكمه والآليات التي يعمل بها. حتى أضحى عالم الإنسان عالما افتراضياً مع شبكات النت ووسائل الاتصال والتكنولوجيا الرقمية. وظلت الدوائر الرمزية مع تعقد التعبير والدلالة أبلغ مضموناً من ذي قبل (ماضى،٢٠١٥: ٣٥١).

فلكلِّ فعلٍ مستواه الرمزي تبعاً لخلفية الثقافةِ ضمن أبعادها الإنسانية. لا يوجد عمل إنساني دونما معانٍ تبرزه وتعطيه وضعاً مهماً. إنَّه بهذا المُعطى يتعلق بحدود القيم وتشكيل الدلالات وآفاق التصور مع أفعال

الأفراد. فيستبدل صعوبة الارتباط المباشر بها عن طريق أثره النافذ. من ثم يحرص المجتمع، أي مجتمع، على تلّقِي هذا الفعل بزخمة التأويلي. وبنفس الأهمية التي يمثلها دائرياً يصبح واسعَ الانتشار. ذلك حين يردد المعاني ذاتها ضمن تباين العادات والتقاليد.

ولقد أكدت الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية وحتى النفسية المتعلقة بالتدين الشعبي على اتساع مجاله، أنه يشمل جملة كبيرة من المعتقدات والممارسة الدينية والطقوس والشعائر ذات المرجعيات المختلفة؛ منها السحر والأسطورة والدين وحتى التاريخ بما أن بعضها فى الأصل عادات وتقاليد اكتسبت – بفعل ثباتها – قداسة وغدت جزء من المنظومة الرمزية، وتتسم هذه العناصر بالتشتت والانفلات من كل تعقيد وتنظيم، وعلى اساس ذلك رأت هذه الدراسات أن التدين الشعبي مرتبط بالمقدس أكثر من ارتباطه بالدين الذى لا يمثل إلا بنية ضمن البنى المشكلة للمقدس، ولذلك يجب علينا البحث فى المقدس الشعبي فى المجال الاسلامي وفى علاقته بالدين، بافتراضنا أنهما قد شكلا معا ما يمكن تسميته بالحقل الديني الشعبي المتكون من معتقدات وتمثلات دينية ورمزية وممارسات طقسية تمثل بمجموعها رأسمالا رمزيا متعلقا بدائرة المقدس، ومن فاعلين يتوزعون بين مستهلكين للرموز، وهم فى المقدس والضامنون لإعادة انتاج الرأسمال الرمزي، ومن رهانات يرمى كل طرف فى هذا الحقل إلى كسبها بواسطة ما يسند إلى الرموز من دلالات ومن وظائف (مناد، ٢٠١٧: ١٣١).

إن زيارة الاولياء والأضرحة تشكل أداة من الأدوات التي تستخدمها الأوساط الشعبية المغربية المحرومة فى سعيها لحل مشاكلها المستعصية والتعامل مع واقعها فهي إذن توجي بالاطمئنان بالنسبة إليها. ومن هنا نجد كثرة الأضرحة والمزارات والزوايا والطرق الصوفية فى القرى وأحياء المدينة الفقيرة المحرومة (مليكة، ٢٠١٢). وأصبحت تلك الأضرحة تتسم برأس مال رمزي يكسبها الهيمنة والسلطة.

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن تحدد إشكالية دراستنا فى التساؤل التالي:

إلى أي مدى يلعب رأس المال الرمزي للولي دورا حيويا فى تزايد معدل الاقبال على زيارة الاضرحة والاولياء بالمغرب؟

ثانيا: أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من واقع موضوع الدراسة وقضايا التناول البحثي، ولعل التحدث عن التدين الشعبي، وزيارة الاضرحة ومقامات الاولياء كممارسات طقوسية رمزية تعكس العديد من الدلالات الاجتماعية والثقافية فى الوقت الراهن من الأهمية بمكان، خاصة إذا تم تناول موضوع الدراسة من المنظور التأويلي حيث تأويل الرمز وتحوله إلى رأسمال لدى الولي أو صاحب المقام يُمارس من خلاله هيمنته وسيطرته على مريديه، وفى ضوء ذلك يمكن تصنيف أهمية الدراسة إلى:

- الأهمية النظرية: -

- قلة الدراسات الانثروبولوجية التي اجريت على الهيمنة الرمزية للأولياء في المجتمع العربي.

- أهمية الشريحة الاجتماعية التي تجرى عليها الدراسة وهى المرأة التي تعمل على إعادة انتاج الثقافة الشعبية والممارسات الثقافية المرتبطة بالتدين الشعبي

- الأهمية التطبيقية: -

- وضع تصور لدوافع استمرار ظاهرة زيارة الأضرحة والمقامات.
- رصد الممارسات الثقافية المرتبطة بظاهرة زيارة الأضرحة مقامات الأولياء.

ثالثا: أهداف الدراسة:

١- رصد مؤشرات رأس المال الرمزي للولي وصاحب الضريح.
٢- التعرف على دور رأس المال الرمزي فى استمرار ظاهرة اللجوء للأضرحة.
٣- التعرف على مقامات الأولياء والاضرحة كفضاء مقدس لإشباع الاحتياجات (النزعة الاحيائية).
٤- رصد الأدوار الوظيفية التي تؤديها الاضرحة والمقامات للمريدين.
٥- تقديم مبررات انثروبولوجية حول استمرارية ظاهرة اللجوء لزيارة الاضرحة.

رابعا: تساؤلات الدراسة:

١- ماهي مؤشرات راس المال الرمزي لدى الأولياء وأصحاب المقامات والاضرحة؟
٢- ما طبيعة الوظائف التي قد تؤديها الاضرحة للمريدين؟
٣- هل يلعب رأس المال الرمزي دورا فى تقديس الاضرحة؟
٤- ما هي المبررات الانثروبولوجية لاستمرار ظاهرة اللجوء لزيارة اضرحة الأولياء وأصحاب المقامات

خامسا: مفاهيم الدراسة:

يعد تحديد مفاهيم الدراسة من أهم الخطوات المنهجية التي تحدد مسار البحث وتضفى عليه الدقة والموضوعية، ولقد جاءت ورقتنا البحثية الراهنة فى ثلاث مفاهيم اساسية وهي:

أ) رأس المال الرمزي: -

استخدم هذا المصطلح لأول مرة على يد عالم الاجتماع الألماني " ماكس فيبرMax weaber ثم استعاره بورديو فى مشروعه النظري الجديد ويعرفه بورديو قائلا: هو بمثابة ملكه أو استحقاق يحصل عليه مالكه الفرد ويحقق له قيمه، فيكسبه الاحترام والتقدير داخل المجتمع الذي ينتمي اليه، ويكسبه السلطة الرمزية المعترف بها من قبل المجتمع (عبد الرحمان،٢٠٢٠).

ويمكن وفقا لما ذكره بورديو الاستناد لنمط السلطة الكاريزمية عند ماكس فيبر، حيث يذكر أن الكاريزما هي الخصائص والمميزات غير الاعتيادية الخارقة المذهلة التي يحوزها شخص ما فقد تكون موجودة فيه حقيقة، كما يمكن أن تكون قد نسجت من محض الخيال أو الوهم، ويستمد الولي سلطته من الاعتقاد الشعبي بأنه ملهم الشعب ويحمل صفات خارقة للطبيعة.

التعريف الإجرائي لرأس المال الرمزي: " هو ذلك الرصيد المتراكم من السمعة الطيبة والسيرة الحسنة والعمل الصالح والنسب الشريف الذي يُكسب صاحبه قوة وهيمنة رمزية من قبل الآخرين"

ب) مفهوم الولي:

يعرفه (مصطفى،٢٠٠٤) على أنه كل مؤمن يعني ليس بني، فالولي عند الصوفيين يكمن فى اتباع الصوفية طريقة ذكر معينة بالإضافة إلى هالة القداسة التي تحيط بالولي، ويصنف البعض الأولياء إلى نوعين وهما المرابطين وأشراف النسب أي ينتمون إلى الرسول ﷺ، وأولياء ذوي الكرامات هم الأولياء

الذين يمثلون الجانب المقدس فى الضريح أي البعد الروحي المرتبط بصاحب الضريح (اسامه، ٢٠٢٠: ٦٣).

التعريف الاجرائي للولي: هو الرجل المعروف بسيرته المستقيمة وعبادته وسلوكه، وقد ينتهي نسب أحدهم الى سيدنا محمد ﷺ، وتحاط به هالة من الكرامات والبركات يتعارف عليها المريدين المحيطين به.

جـ) مفهوم الضريح: -

يعرف الضريح لغويا على أنه الشق فى وسط القبر واللحد فى الجانب وسمي ضريح لأن يشق فى الأرض شقا (الانصاري،٢٠٠٩: ٦٢٢).

فالضريح هو شق فى وسط القبر وضريح القبر حفرة وقيل هو قبر بلا لحد (سيد،٢٠١٣: ٤٥٠). وهو ذلك الفضاء الذي يضم بالأساس قبر الولي الدفين، ويتمتع عادة هذا المكان بالتقديس، أكثر مما يناله الولي في حياته، لهذا نجد الجماهير البسيطة تتردد على اضرحتهم وقبورهم، تتلمس البركة وقضاء الحاجات، إضافة إلى أن فضاء الضريح يشهد طقوسا وعادات يرددها زواره (صالح، ٢٠١٩: ٤٦).

والاضرحة هي اماكن يذهب إليها الناس لإشباع حاجاتهم الاجتماعية والنفسية والروحية وتطلعاتهم (Abbas,2015).

التعريف الاجرائي للضريح: هو مكان يدفن فيه ولى من أولياء الله الصالحين، ويصبح مقصدا للزيارة بهدف تحقيق غايات متباينة من قبل أفراد المجتمع.

سادسا: الادبيات النظرية

إن استعراض الادبيات النظرية التي تناولت موضوع الدراسة يسهم بصورة فعالة فى معاونة الباحث على استقاء مفاهيمه وتصميم ادواته المنهجية وتوفير خلفية نظرية عن مجتمع الدراسة، ومن ثم اراد الباحث أن يستعرض الادبيات النظرية فى دول المغرب العربي نظرا للخصوصية الثقافية لهذه الدول فيما يتعلق بظاهرة الاضرحة والاولياء، بالإضافة إلى أن الدراسة الراهنة أجريت فى دولة المغرب.

هدفت دراسة محمود (٢٠٠٨) والتي جاءت بعنوان زيارة الاضرحة والمراقد: ضريح عمر مندان انموذجا إلى الوقوف على أهم المعتقدات التي تدفع الفرد القروي إلى زيارة الضريح، وجاءت كدراسة اجتماعية طبية اجريت على (١٦) حالة مرضية، واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي ومنهج دراسة الحالة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: -

- من أهم اسباب اللجوء إلى زيارة الضريح انخفاض المستوى التعليمي يجعل الفرد جاهلا بأمور العلاج وانعدام الخدمات الصحية جعل زيارة الضريح بديلا عن الذهاب الى المستشفى، كما أن الشعور بالراحة النفسية عند زيارة الضريح، وتعلق زيارة الضريح بمعتقدات اجتماعية متوارثة عن الاباء والاجداد، والاعتقاد والايمان بالدور العلاجي الذي تؤديه زيارة الضريح فى الشفاء من الأمراض تعد من أهم الاسباب الاجتماعية التي تدفع ابناء القرية لزيارة الضريح.

وجاءت دراسة (ام الخير، ٢٠١٦) بعنوان الممارسات الدينية ودورها بناء الروابط الاجتماعية: المجال العمران للضريح فى مدينة الأغواط، لتهدف إلى التعرف على دور الممارسات الدينية متجسدة فى زيارة الاضرحة فى بناء العلاقات والروابط الاجتماعية، واجريت الدراسة على عينة قوامها (١٠٠) مفردة من زوار ضريح سيدي عطاء الله واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي

وتحليل المضمون، وعلى الاستبيان والملاحظة بالمشاركة كأدوات لجمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ومنها: -

- يذهب الزوار إلى الضريح بحثا عن الاندماج الاجتماعي بعد ان شعروا بنقص الاندماج نحو الجماعة التي ينتمون إليها خارج فضاء الضريح.
- أن نسبة (٧٣.٦%) من زوار الضريح يشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة سواء كان لديهم رغبة لذلك أم لا؛ حيث تجمعهم وجهة واحدة سواء تعلقت بالبحث عن الشفاء أو ايجاد حلول لمشاكلهم الاجتماعية والنفسية.
- الاصرار على اصطحاب الابناء على زيارة الضريح للتأكيد على قدسية الزيارة والرغبة فى استمرارها فى ظل الاجيال القادمة.

دراسة عبد القادر (٢٠١٦) والتي جاءت بعنوان التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح: مقاربة سيكو – انثروبولوجية، حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين التصورات الثقافية لدى زوار الضريح والممارسات العلاجية فى ضوء بعض المتغيرات الشخصية (السن، الجنس، الحالة الاقتصادية، مكان السكن، المستوى التعليمي). واعتمدت الدراسة على مقياس التصورات الثقافية للعلاج الضرائحي كأداة لجمع البيانات واجريت الدراسة على عينة قوامها (٢٨٠) زائر من زوار الضريح، وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج وهي: -

- هناك علاقة بين التصورات الثقافية والممارسة العلاجية لدى زوار الضريح.
- توجد فروق فى التصورات الثقافية للعلاج لدى زوار الضريح وفقا لمتغير السن
- لا توجد فروق فى التصورات الثقافية للعلاج لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الجنس.
- توجد فروق فى التصورات الثقافية للعلاج لدى زوار الضريح وفقا لمتغير مستوى التعليم.

هدفت **دراسة زرهوني & بلوفة**. (٢٠١٨). إلى التعرف على تمثلات المرأة للفضاء المقدس، ورصد أهم الطقوس التي تقوم بها المرأة داخل هذا الفضاء، واتخذت الأضرحة نموذجا، واجريت الدراسة على عينة قوامها (١٠) من النساء المترددات على الأضرحة المختلفة بمدينة وهران بالجزائر، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وعلى دليل المقابلة المتعمقة كأداة لجميع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي: -

- أن الضريح كفضاء يجعل المرأة تجعل راحتها وتطمئن بداخلها.
- يلعب هذا الفضاء دورا سيكولوجيا بالنسبة للمرأة.
- ثقة النساء للضريح كفضاء المقدس جعلهن يلجأن إليه لطلب الحماية.
- تعد زيارة الضريح آلية من آليات التواصل الاجتماعي بين النساء المترددات لزيارة الضريح
- من الطقوس الممارسة فى الضريح كفضاء مقدس (مس التابوت- مسح الوجه بالقماش الأخضر- حوار المرأة مع الولي- الطواف بقدمين حافيتين) .

هدفت دراسة **أسامة**. (٢٠٢٠). والتي جاءت بعنوان " دراسة انثروبولوجية لزيارة ضريح الولي سيدي الحاج ابن ناجي بولاية المدية أنموذجا" إلى التعرف على أهم المعتقدات الاجتماعية والثقافية التي تدفع الفرد إلى زيارة الضريح الولي سيدي الحاج ابن ناجي، واجريت الدراسة على عينة قوامها (١٦)

مصنفة الى (٣) ذكور، (١٣) إناث، واعتمدت الدراسة على منهج دراسة الحالة، والمنهج التاريخي، وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج وهي: -

- دوافع زيارة المبحوثين لضريح الولي ما يلي:
- الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية لزيارة ضريح الولي باعتبار الرابطة الدموية والقرابية لضريح الولي أي الانتساب التاريخي لأفراد المنطقة بالولي.
- زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين من أهم المعتقدات الاجتماعية المتوارثة عن الاجداد والآباء.
- اعتقاد أفراد المنطقة بأن الولي هو رجل صالح ونموذج المسلم الحقيقي وذلك ناتج من القصص المتوارثة بين أفراد المنطقة.
- الخدمات العلاجية والصحية التي يقدمها شيخ المدرسة القرآنية التي يراها عادة لابد من الحفاظ عليها من خلال ما تحققه من مساعدات وتلبية حاجات النساء.

أوجه الاستفادة من الادبيات النظرية:

يسهم التعرض للأدبيات النظرية إلى التعرف على المفاهيم الاجرائية ورصد الطرق المنهجية المستخدمة من قبل الباحثين، مما يثري الخلفية النظرية والمنهجية للباحث، ويسهم فى صياغة مفاهيمه وانتقاء ادواته المنهجية، ولكن قد لاحظ الباحث: -

- أن اغلب الدراسة السابقة اعتمدت على منهج دراسة الحالة.
- هدفت اغلب الدراسات إلى التعرف على دوافع زيارة الضريح دون وجود تحليل انثروبولوجي.
- اكتفاء أغلب الادبيات النظرية بالمستوى الوصفي.
- ركزت العديد من الادبيات النظرية على دراسة الاولياء والاضرحة فى الجزائر، واغفلت تناولها فى المغرب.
- اغفلت الادبيات النظرية دور الرمز ودلالته من قبل الولي صاحب الضريح تجاه المريدين.

وفى ضوء ما تقدم سوف تسهم دراستنا الراهنة فى التركيز على بعد جديد فى دراسة الأولياء وهو دور رأس المال الرمزي للولي زيارة الاضرحة، مع تناول مجال جغرافي جديد وهو مدينة الرباط بالمغرب.

سابعًا التوجه النظري للدراسة:

سوف تعتمد الدراسة الراهنة على نظريتي التفاعلية الرمزية، وعلى النظرية التأويلية، حيث يعد مدخل التفاعلية الرمزية هو المدخل الأنسب والأكثر لياقة الأمر الذي يمّكن الباحث من تفسير معطيات الدراسة وفهم أعمق لأبعادها، ومرد ذلك إلى أنها تستند إلى مفهومين أساسيين: الرمز والمعنى لكونهما يحملان بداخلهما مؤشرات للتعرف على الواقع الاجتماعي وفهم دلالته الاجتماعية كما ان فهمهما يعكس صورة أو نمطا من أنماط لتفاعل الحادثة في مجتمع التفاعل، فاستخدام الرموز أمر قائم فى كل المجتمعات البشرية للتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية، حيث تهتم التفاعلية الرمزية بالطريقة التي يختار بها المشاركون فى عملية التفاعل الاجتماعي معانى الرموز ويتفقون عليها(لطفى و الزيات، ١٩٩٩). وتهتم التفاعلية الرمزية بفحص المعاني الناشئة عن التفاعل المتبادل للأفراد فى البيئة الاجتماعية للأفراد (Aksan,2009). فالنظرية تركز على تفاعل الافراد فى حياتهم اليومية وكيف يخلقون الرمز والمعني (Korgen,2008)، وتستند النظرية التفاعلية على عدة مبادئ نظرية وهي: -

١- إن سلوك الفرد حيال الأشياء إنما يكون طبقا لما تعنية له معاني تلك الأشياء.
٢- إن هذه المعاني ليست إلا نتيجة طبيعية لعملية التفاعل بين الفرد ومن يتفاعل معهم فى الحياة اليومية.
٣- يستجيب الفرد لهذه المعاني وفقا لمقتضيات الموقف الاجتماعي الذي يجد نفسه فيه
٤- يتداول الفرد المعاني المشتركة مع الآخرين، ويغيرها ويحورها ويعدلها عبر عملية تأويل أو تفسير خاص به (كريب، ١٩٩٩: ١٣٢).

وتولى التفاعلية الرمزية عملية التأويل أهمية خاصة إلى الحد الذي جعل منها بلومر (Blumer) نقطة الارتكاز فى عملية بناء الذات وتطورها. والتأويل عنده نوعان مترابطان، كل منهما ضروري للآخر، النوع الأول: تأويل خارجي، ويقصد به عمليات التفاعل والاتصال الذي يخلق الفرد بوساطته عالمه المشترك مع الآخرين. وأما النوع الثاني: فهو التأويل الداخلي، وهو ذلك الذي يحدث بين الفرد ونفسه؛ إذ يقوم الفرد هنا بتأويل لدلالات المعاني والرموز التي تكونت لديه من خلال محادثاته وتفاعله مع المجتمع (ساري، ٢٠٠٦: ٢٣).

النظرية التأويلية:

أن الاتجاه التأويلي يهتم بدراسة المعنى ويعالج الرموز على اختلاف أشكالها كي يستخلص المعنى أو المعاني السائدة في ثقافة أي مجتمع. لذلك أوضح" جيرتزGertz " من البداية أن طبيعة الدراسة التأويلية تهدف إلى معرفة المعنى، وليست مجرد دراسة تجريبية تهدف إلى الوصول لقوانين تفسر السلوك (عثمان، ٢٠٠٧).

موضوع الدراسة فى ضوء التوجه النظري:

إن البحث عن علاقة تربط بين الرمز ودلالته وتسهم فى تفسير الفعل المرتبط بذلك الرمز يتضح بصورة جلية فى منظور التفاعلية الرمزية، ولعل الحديث عن رأس المال الرمزي ذلك الرصيد المتراكم من الرموز التي أكسبها الفضاء الاجتماعي للضريح العديد من الدلالات الاجتماعية، بل وأعطى العقل الجمعي الفرصة لتأويل تلك الرموز والدلالات. ومن ثم أصبح منظور التفاعلية الرمزية قادرا على تفسير العلاقة بين الضريح وبين المريدين فى سياق جملة من الرموز والدلالات الاجتماعية، بل وترشدنا التفاعلية الرمزية إلى تفسير دور تلك الرموز فى تزايد الاقبال على زيارة الاضرحة واستمرار تلك الظاهرة عبر مئات السنين.

وسوف نستعرض طبيعة العلاقة بين الرمزية ودلالتها الاجتماعية الاضرحة في ضوء النقاط التالية: -

أ) الرمزية والاضرحة: -

تعتبر الرموز هي سمة خاصة مرتبطة بالإنسان. فهي مجموعة الاشارات المصطنعة التي أحد سمات البشرية فلا يخلو نسق ثقافي او اجتماعي من مجموعة الرموز والتي تشمل اللغة والمعاني والتأويلات والانطباعات والصور الذهنية. ويمكننا القول انه فى ضوء التفاعلية الرمزية يمكن اعتبار الرمز هو بمثابة دراسة المعاني التي يعطيها الناس لسلوكهم وسلوك الاخرين فلا فائدة للرمز دون دراسة معانيه (لطفي والزيات،١٩٩٩: ١٣٢). فدراسة الاضرحة لا تخلو من الرموز والمعاني التي يتم تفسيرها فى ضوء السياق الاجتماعي لها وليرتبط المعنى المقصود بالرمز على رؤية الفرد ذاته بل على علاقة الرمز بالرموز الاخرى أي الدلالات التي نسجها الانسان بذاته. فقد اعتمد اميل دوركايم فى تفسيره للرمز على التصورات الجمعية والشعائر الدينية على اعتبار ان فكرة القداسة ليست فطرية او موروثة وانما بل هي

جانبا مفروضا على الطبيعة الامبريقية (الأسود،٢٠٠٢: ٥٣). وهو ما يتفق مع الرمزية التي تنطلق من جوهرية فهم المجتمع والنظرة الامبريقية من خلال دراسة الرموز والانساق الرمزية والكشف عن المعاني التي تحملها(الزيباري،٢٠١٦). فيمكن دراسة الرموز من خلال الامبريقية أو بمعنى اخر من خلال معرفة وملاحظة الواقع المحسوس للأفراد حيث تستمد المعرفة الإنسانية شرعيتها من خلال احتكامها للخبرة الإنسانية، وهذه الخبرة الانسانية المحسوسة ماهي الا تبريرات صريحة لرمزية المقدس واستمراره. ففي ضوءها تحافظ المجتمعات على اشكالها المقدسة رغم التحولات والتطورات العنيفة التي تمر بها. فالتعبير الرمزي يركز على الانفعال ويكثفه حيث لا تتحول هذه الانفعالات الى سلوكيات سطحية فقط بل الى افعال لا تتعرض للانحرافات انما تستمر وتبقى وتتحول الى قوة داعمة، ويعد المعتقد اول شكل من اشكال الخبرة الانسانية وتحديدا الخبرة الدينية حيث ينتج عن هذا المعتقد احساس جمعي وهو البنية الدينية حيث الشعور الجمعي الذي يضمن استمرار العلاقة بين عالم المقدس وعالم الانسان. فحضور المعتقد يحتاج الى جانب فعلى جمعي يسمى الطقس. وعندما يجتمع المقدس مع الطقس يظهر نوعا من التدين الشعبي الذي تعتبر ظاهرة الاولياء والاضرحة احدى اوضح الصور الازلية المتجسدة ميدانيا فى الاسلام الشعبي(فراح،٢٠١١).

ب) رأس المال الرمزي للولي ورمزية الضريح:

تبدأ الرأسمالية الرمزية للضريح منذ اضفاء الكرامة على الولي. حيث تعتبر الكرامات هي رأسمال الولي حيث اضفاء الطابع الأسطوري على شخصية الولي فهو كائن فوق أنساني يتخطى حدود الكينونة الانسانية وتتحقق فيه الزعامة والرئاسة والقوة والطاقة التي تتخطى حدود الانسانية البشرية ليبقى فى صورته الرمزية مبعوثا للعناية الالهية باتباعه ومريديه. وتبقى هذه الرمزية للولي متصلة بأشيائه من تلك القبة التي هي همزة الوصل بين الارض والسماء وتلك القطعة من القماش الملقاة على قبر الولي والتي يتبرك بملامستها وبؤر الماء او الشجرة المباركة بمجاورته للضريح وغيره من الاشياء التي تقدست واكتسبت رمزيتها من قربها وبعدها عن جسد الولي. وقد استقى دوركايم هذه الفكرة وعبر عنها من خلال مفهوم المانا فالنظرة الأحيائية ترى ان هناك قوى روحية تتجلى فى الأشياء غير الحية كأحد مظاهر التدين البدائي وهو ما يتفق مع مفهوم المانا (سميث، ٢٠١٢). فلدى العقل البشرى قدرة على الاعتقاد بوجود قوى غيبية تتدخل فى مسار حياته. كاعتقاد المرأة غير المتزوجة ان هناك قوى غيبية كالجن تمنعها من الزواج فتذهب الى الولي الذي يمتلك المانا للتبرك به. وتتطهر بماء العين او البئر المجاور للضريح لاعتقادها ببركة الماء. ان هذا الطقس يعكس امتداد المانا او القوى الروحية للولي الى محيط الضريح لتشمل بؤر الماء والنباتات المجاورة وصحن الضريح وكلها ماهي الا انعكاسات لقوى الولي الغيبية(وطفه،٢٠٠٩).

كذلك تلعب رمزية المكان دورا كبيرا فى استمرار الظاهرة حيث تحقيق الالفة البصرية للمريد فالقبة لها شكل مربع سامية تمتد إلى الأعلى جوانحها الأربعة تتناسب مع الاتجاهات الأربعة وتجسد جدران الأعمدة الاربعة التي تسند السماء وتمثل الاتجاهات الأربعة للفضاء الكوني، ويرمز سطحها لقبة السماء وسقيفة الضريح أو القبة تمثل الأرض، وهذا الإنشاء الطقوسي للمكان مشار إليه برمزية ثلاثية: أرضية للمكوث وطرح الشكاوى والآهات عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والصحية والمادية، والقبة الطريق الأملس والميسر لوصول الدعاوي والاستعطافيات، ثم الجدران الاربعة التي تحفظ تماسك وبقاء القبة وتسندها إلى السماء، ويتوسط هذا الشكل المربع حجر يغطي جثمان الولي الذى صعدت روحه على السماء ومازالت بركته في الأرض، فالاعتقاد بالمانا يعكس تمثيلات العيش فى فضاء الولي يبرر البقاء

تحت سماءه. وقد تم تدعيم هذه المانا من خلال اضفاء مبدأ المقدس عليها. ففكرة المقدس عامة ترتبط بمجموعة من الطقوس الرمزية المتوارثة التي تعمل كحائل امام التغيرات الاجتماعية لما يرتبط بها من اعتقادات عقلية وصور ذهنية تستمد قوتها من أن المقدس لدية القدرة على منح الذات الانسانية او الانا اتزانا نفسيا وان هذا الاتزان النفسي هو اهم الحاجات الانسانية للإنسان فى القرن الحادي والعشرون (فراح ،٢٠١١).

جـ) الواقع الأسطوري والثنائيات وبقاء الضريح

تعتمد الثقافة الشعبية على الواقع الأسطوري فى خلق واضفاء الكثير من المعاني والمفاهيم. فالشعبوية الاسطورية متصلة بالحياة اليومية للمغربي كنتاج للبيئة التي نشأ فيها فهي تعكس طرائق التفكير والشعور وتثبيت منظومة المقدس والحفاظ عليها. فينتشر بالمغرب الاساطير الشعبية التي تحكى عن التبرك بالأولياء لما يمتلكه من كرامات حيث اعتبار ان الكرامة الناتجة عن السمعة الطيبة والقوة والفضيلة الاخلاقية هر رأس المال الرمزي للولي وان كانت فى الاساس ما هي الا معطيات الاسطورة التي تعطى لكل ما يتعلق بالضريح بدء من الجسد المتوفى مرورا بالفناء والشجرة والماء المجاور للضريح نوعا من القداسة.

فلكل ولى اسطورة تعكس رأس المال الخاص به وبغض النظر عن كون رأسمال الولي او أسطورته هذه حقيقية ام مصطنعة الا ان بقاء الضريح واستمراره من بقاء الاسطورة حول هذا الضريح. ويرى الباحث ان هذا التغير الذي يجرى على الاسطورة من ان لآخر. وما يجعلنا نستمع البها بشكل مختلف من جماعة لأخرى او ربما من بلدة لأخرى يعود لتغير ملامح رأس المال الرمزي التي يتطلبها الواقع لبقاء الضريح وجذب المريدين اليه. فرأسمال الولي غير ثابت ومتطور بتطور الوقت. قد يضاف اليه او يتخول منه حسب الحاجة. والقائمين على مقام الولي من خدم او اتباع يعلمون ذلك جيدا. لذلك دائما ما تجدهم يشيعون الحمايات الخارقة عن قدرات الولي. ويجددون فى خطابهم ولغتهم المستخدمة لمخاطبة عقول المريدين وجذبهم.

د- الثنائيات وبقاء الضريح:

إن بقاء الضريح يستند الى الثنائيات كأحد المبادئ الطبيعية او مكونات الطبيعة البشرية التي يسهل قبولها وتصديقها ففي دراسة الضريح تعد الثنائيات المتقابلة كالروح الخالدة التي مكانها السماء انام الجسد الفاني القابع فى الارض. كذلك ثنائية الخير المتمثلة فى قدرة وكرامات الولي فى دفع الشر المتمثل فى الارواح الشريرة والحاسدين. كذلك ثنائية الضعف والعجز البشرى امام قوة الولي الخارقة لدفع القهر عن الانسان. فبقاء الضريح قائم ومستمد من الثنائيات لأنها احدى مكونات الطبيعة البشرية ولأنها أحد قوانين الطبيعة ونواميس الكون كالسماء والارض الشمس والقمر النور والظلام مما يضمن بقاء الضريح واستمراره (جودات، ٢٠١٥)

ويتناسب انتشار الخرافة واللجوء للمقامات في وسط ما مع شدة القهر والحرمان، وتضخم الإحساس بالعجز وقلة الحيلة وانعدام الوسيلة، يحاول الإنسان المقهور التعويض عن فشله في مواجهة واقع الحياة بنجاحات وهمية يظل يطاردها عن طريق المعتقدات الشعبية التي يقنع بها نفسه حينما يحولها إلى دين

مقدس، وتستطيع المعتقدات الشعبية (الشعوذة ـ التبرك بالأولياء والاضرحة إلخ) بمثابة غزو لوجدان الإنسان المتخلف لأنه لا يستخدم التفكير. إن أساليب السيطرة الخرافية على المصير تقوم على أسس نفسية نكوصيه، يعود فيها الإنسان المقهور إلى مرحلة التفكير الطفولي الذي "يخلط الواقع بالخيال، والحقائق بالرغبات، والصعاب المادية بالمخاوف الذاتية" ، ذلك بأنه يمنح وسائل التصدي السحري للواقع القدرة المطلقة فالإنسان المقهور يخضع للسيطرة الخرافية على الحاضر من خلال (الأولياء) الذين يمثلون عنده رمز الطهر والنقاء فهو يسعى عندهم لجلب الخير ومن خلال اعتبار الاولياء رمزا القوة على قهر رموز قوى الشر (الجن ـ العفاريت ـ الحساد إلخ)، ويعيش الإنسان في هذه الحالة توترا نفسيا دائما، فهو إن أصابه شر رده إلى العين والسحر والجن وإن أصابه خير اجتهد في إخفائه خوفا منهم أن يسلبوه منهم بالعين والسحر والجن (حجازي،٢٠٠٨).

ثامنًا: الاجراءات المنهجية للدراسة:

١ـ مجتمع الدارسة:

اجريت الدراسة فى مدينة الرباط عاصمة مملكة المغرب، وتعتبر ثالث أكبر مدينة فى البلاد، تقع على ساحل المحيط الاطلسي، يوجد بها جامعة محمد الخامس أول جامعة اسست بالمملكة، وتبلغ مساحتها حوالي ١١٨.٥كيلو متر مربع. ولقد تسجيلها إلى قائمة التراث فى العالم الاسلامي، وذلك جاء نتيجة جهود المملكة فى برنامج" الرباط: مدينة الأنوار وعاصمة المغرب الثقافية"(https://www.minculture.gov.ma). وتمتاز مدينة الرباط بانتشار العديد من الاضرحة ومقامات الاولياء، وتتسم الرباط بانتشار الدين الاسلامي، حيث يبلغ نسبة المسلمين ٩٨% من أجمالي عدد السكان، ويتحدث اهل الرباط اللغة العربية الفصحى، واللغة الامازيغية والتي تم الاعتراف بها كلغة رسمية فى البلاد منذ عام ٢٠١١.

٢ـ منهج الدراسة:

تعد الدراسة الراهنة من الدراسات الكيفية التي تعتمد على المنهج الانثروبولوجي، واعتمد البحث على الملاحظة بالمشاركة كأداة أساسية لجمع البيانات حيث تم ملاحظة طريقة اداء المبحوثين عن رصد بعض الممارسات التي تتم عند دخول المقام أو الضريح، كما أعتمد البحث على دليل المقابلة المتعمقة، الذى يتكون من اربع محاور رئيسية، الأول يرصد البيانات الاساسية والخصائص الاجتماعية؛ الثاني يركز على مؤشرات رأس المال الرمزي للولي أو صاحب المقام ، المحور الثالث يرصد النزعة الاحيائية للأولياء والقدرة على اشباع الاحتياجات، المحور الرابع يتناول التصنيف الوظيفي للأولياء من منظور مجتمع الدراسة.

٣ـ عينة الدراسة:

اجريت الدراسة على عينة عمدية قوامها (١٥) مفردة من النساء المترددات على زيارة الأضرحة بمدينة الرباط، وفيما يلي عرض للخصائص الاجتماعية لعينة مجتمع الدراسة:

المرحلة العمرية	التكرار	النسبة المئوية	النوع	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية	الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
٣٠-٢٠	٣	٢٠%	اناث	متوسط	٩	٦٠%	متزوج	٥	٣٣.٤ %
٤٠ -٣١	٧	٤٦.٦ %		جامعي	٤	٢٧%	أعزب	٨	٥٣.٦ %

٥٠-٤١	٥	٣٣.٤		فوق الجامعي	٢	%١٣	مطلق	٢	%١٣
الاجمالي	١٥	١٠٠ %			١٥	١٠٠ %		١٥	١٠٠ %

جدول رقم (١) **يوضح الخصائص الاجتماعية لعينة مجتمع الدراسة**

يتضح من بيانات الجدول تباين الفئات العمرية فى عينة مجتمع الدراسة، ومن الملفت للنظر أن الفئة العمرية (٣١-٤٠) جاءت أكثر تمثيلا فى عينة الدراسة، ولعل مبرر ذلك كثرة زيارتهم وترددهم على الاضرحة طلبا للزواج، بينما جاءت الفئة العمرية (٢٠-٣٠) الأقل تمثيلا لعدم وجود الوعي الكافي لدى هذه الفئة العمرية حول أهمية الأضرحة والتبرك بها، بالإضافة إلى انشغالهم فى هذه المرحلة بالتعليم، وجاءت المرحلة العمرية (٤١-٥٠) فى المرحلة الثانية والتي ترددت لطلب البركة والشفاء من الامراض والاسقام، ومن الملفت للنظر ارتباط كل مرحلة عمرية باحتياجات معينة من الولي او الضريح.

تاسعا: نتائج الدراسة:

قدمت الدراسة لعدد من النتائج تتعلق بدور رأس المال الرمزي للولي، ذلك الرصيد المتراكم من السمعة الطبية والسيرة الحسنة والنسب الشريف، وسوف نستعرض النتائج وفقا لما يلي: -

رأس المال الرمزي للولي:

أكد (سراج، ٢٠١٦) على أن ضريح الأولياء يمثل فى الاعتقاد السائد فى المجتمع المغربي رمزا قدسيا لشخصية دينية تتمثل فى شخصية الولي أو المرابط وغالبا ما يكون الولي الصالح المقرب إلى الذات الالهية من مشايخ الصوفية أو معلمي القرآن أو بعض الدعاة أو من الزهاد المتنقلين وما شابه ذلك، فالمقدس هنا يعكس الصلاح، ويصبح ضريحه كنصب تذكاري يشكل فضاءًا قدسيًا طوطميًا للزيارة والتبرك به، سواء كان الضريح يضم جسد ذلك الولي المدفون فى قبره أو كان مكان عبوره أو جلوسه، تمارس حوله الطقوس والشعائر والاحتفالات تعظيما لذلك الولي هكذا انتشرت الأضرحة والمزارات فى المدن والأرياف وكونت ايديولوجية شعبية تجلت فيها التمثلات والقيم والاعتقادات والممارسات والطقوس وهكذا أصبح الضريح فضاءا مقدسا ومزارا. لذا يسهم رأس المال الرمزي للولي فى وجود صورة ذهنية تتجسد فى العقل الجمعي لدى المترددات على زيارة الاضرحة والأولياء، ولعل دلالة الرمز تقودنا بالضرورة إلى ممارسة الفعل ولعل تلك الممارسة تتجلى فى تقديس الولي التي تظهر من خلال السلوكيات المعينة التي يقوم بها الإنسان أثناء العبور من قربها أو أثناء الدخول لزيارتها. وأول شيء يلفت الانتباه هو: خلع الزائر النعل والدخول حافي القدمين، ثم اشعال الشموع والطواف حول الضريح فى خضوع وإذلال، وتقبيل التابوت، ومسح الوجه بالتراب. بالإضافة إلى ربط قطعة من القماش خضراء اللون كل ذلك اعتقادا منهم لدفع الضرر والأذى وجلب الحظ السعيد. وبعد خروجهم من الضريح يقدمون نقودا وهي بمثابة صدقة فى اعتقادهم، لتعود عليهم الزيارة بالنفع وتحصل البركة وتحقق أغراضهم وأهدافهم، ولعل هذا يتفق مع ما ذهب إليه (قشيوش، ٢٠١٥) حيث أكد على الهيمنة الرمزية التي يمارسها الولي على مريديه بداية من خلع النعل للتقديس وانتهاءا بوضع النقود والنذور كصدقات للتقرب والتبرك. ولعل رؤية الضريح كفضاء مقدس يكتنفه العديد من الرموز والدلات ساهمت بدور كبير فى تزايد معدل الاقبال على زيارة الاضرحة، حيث اشارت مصادر الدراسة قائلة: -

" الاولياء رجال متصوفين كيربيو الناس على الذكر"

" بقدرة الاولياء الله يفرج علينا "

" اغلب المغاربة من سلالة نبوية من بنو هاشم وبنو طالبة هداكشي علاش كاينين بزاف الاولياء"

" هاد الناس هم اللي معاهم البركة والنية، وعاشو على الفطرة ورابحين من نيتهم، وارواحهم طاهرة لا تموت، ما كان يمارسوا شعوذة، هاد ناس مساكن ولاد باب الله "

" الاولياء اضرحتهم مكان لكشف الداء والعلل كل بحسب قربة من الله"

" الاسياد يقضوا حوائج، ما كين والو يعوقهم"

"الاولياء مكيموتوش كيبقا وحييت فداك المقام وكيحققو لينا الطلبات ديالنا"

" لازم نقبل اعتاب الأسياد، عشان ننول البركة "

تؤكد مصادر الدراسة على توافر مؤشرات رأس المال الرمزي فى الأولياء، حيث يحفظون كتاب الله العظيم، وينتهى نسبهم إلى السلالة النبوية، وأن لديهم قدرات خاصة تمكنهم من قضاء حوائج المريدين وهذا ما أكدته دراسة (ام الخير، ٢٠١١).حيث ذكرت أن الشرعية الرمزية متأتية من أن معرفة كلام الله تحول الفرد إلى مالك لرأسمال رمزي وسلطة رمزية تتخذ تجسيداتها المادية فى المجتمع، ولعل القدرات الخاصة والنفحات التي تحيط بالولي أو بمقامه تتفق مع ما أطلق عليه البعض " الكرامة" وفى حقيقة الأمر نجد أن الكرامة أمر واقع وليس من وحى الخيال أو اسطورة ، وهذا ما أكده (شقطمي، ٢٠٢٠: ٦٥) فى دراسته حيث أكد على أن كرامات الأولياء تجرى عليهم من حيث لا يعلمون، والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون وبإثباتها ناطقون، لأن الأولياء قد يخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة، والأنبياء لا يخشى عليهم الفتنة بها لأنهم معصومون. وأن لديهم سيرة طيبة جعلت من مكان اقامتهم فضاء مقدسا واكسبهم هيمنة رمزية. ويتفق هذا مع ما ذكره (جيلالي، ٢٠١٥) الذي أكد على أن الشيخ أو المرابط هو اساس السلطة الروحية تخول له مكانة واسعة بين السكان مثل الطاعة والتسخير المادي من أجل نيل البركة والرضا، وبهذا المفهوم السابق يأتي تجسيد ذات الولي فى اللاوعي الجمعي من خلال نموذج خاص من الأفكار والتصورات وفق إدراك حسي يعبر عنه سلوك اجتماعي يترجم الهيمنة الرمزية، كما وصفها بورديو " أن اثر الهيمنة الرمزية لا يمارس فى المنطق الخالص للضمائر العارفة بل يمارس من خلال ترسيبات الإدراك الحسي والتقييم والفعل، ولعل مما يجسد هيمنة الولي الرمزية بعد وفاته اهتمام الدولة بها والقيام على صيانة مقامه وتنظيم الاحتفالات الخاصة ويتضح ذلك بوضوح فى اراء العينة التالية:-

" تقوم الدولة بتخصيص ميزانية سنوية للضريح وتحضر القيادات المواسم الخاصة بالأضرحة، وتصرف عليها ببذخ شديد"

" الأسر التي تنتسب إلى مقام معين بتحصل على العديد من المكاسب المادية والسياسية من خلال استغلال اقتران اسمها باسم المقام"

" الدولة تحافظ على الاضرحة ومقامات الأولياء لأنها بتخلي الأفراد يشكون همومهم للولي مش للدولة، ويصبح الولي هو المفر والمنقذ"

" تنتشر المنازل فى محيط الاضرحة ويؤجر المنزل فى اليوم الواحد بحوالي ٤٠درهم"

" تنشر الاولياء بسبب الدولة خامجة، جهلت الشعب"

مقامات الأولياء والاضرحة كفضاء مقدس لإشباع الاحتياجات (النزعة الاحيائية):

تجسد فكرة النزعة الإحيائية الاعتقاد بوجود روح الولي فى المقام، وأن هذه الروح لديها القدرة على معرفة وتحقيق حاجات المريدين، كذلك الاعتقاد بان هذه الروح تتسم بالقداسة فهي روح طاهرة اختصها الله ببعض السمات والخصائص بسبب طاعتها له، واملى على يديها الكثير من البركات والقدرات كتكريم

لها ورفعه لقدرها، وأن هذا الاعتقاد لا يتعارض مع الايمان بالله، فالدين دوما يجعل لأولياء الله الصالحين هبات وكرامات فالكرامة للأولياء والمعجزات للأنبياء، وتذكر مصادر الدراسة قائلة: -

" ارواح الأولياء تختلف عن أرواح باقي البشر، لأنها تظل متصلة بالسماء حتى بعد فناء صاحبها، ويظل لديها نفس درجة القرب من الله، فنحن مازلنا نتوسل بالنبي لقضاء حوائجنا، ولا يقبل لنا دعاء دون الصلاة عليه، وهذا لا يتعارض مع الدين، فأرواح الأنقياء لها ظروف خاصة"

" الولي روحه تتميز بالطهارة وهي مقدسة لعدم ارتكابها الذنوب التي يرتكبها عامة الناس لذلك يخصها الله بالخلود"

" صلي في المقامة الصلاة ديالة ونطلب الله تعالى، ونتقرب بالولي، فالأضرحة والسادات نبغي بها تقرب لله"

" روح الولي هي روح طاهرة لا تموت يمكنها تحقيق الكرامات فقد كرمها الله بذلك"

ولعل تفسير فكرة الاحيائية يمكن توضيحها فى ضوء ثنائية المقدس والمدنس، والتي أكد عليها (Mohsen,2014). فثنائية المقدس والمدنس ترتبط بالوجود الروحي، ولا ترتبط بالوجود الطبيعي، وهنا يجب التمييز بين القداسة المطلقة وهي تختص بالخالق وحده والقداسة النسبية أي قداسة المخلوق، وبالتالي فالمقدس هو مجال تحقيق القداسة وتجسيدها فى الذوات والزمان والمكان، حتى تكون المقدسات قادرة على أن تصبح وسيلة اتصال بالخالق لابد أن ترتبط بالروح حتى تكون الروح فى الأصل من عالم سماوي لذا فهي أنسب وسيط بين الخالق والمخلوق لذا يمكن القول إن المقدسات فى الديانات حازت هذه المكانة من خلال الروح. ومن هنا كان هناك ربط دائما ما بين الضريح ومفهوم الروح ومكانة التقديس المرتبطة بكون الروح ترجع لأحد الصالحين الذي يقام له الضريح والذي توصف روحه بالمقدسة، كما تظهر قداسة الروح من خلال الطقوس التي تمارس داخل الأضرحة. وفى ضوء ما ذكرته مصادر الدراسة يمكن القول أن هناك اعتقاد بأن الولي لا يموت بل يظل حي داخل المقام، يسمعنا ويحقق لنا ما نطلبه، لأن روحه طاهرة والروح الطاهرة لا تموت وهذه كرامة من الله لهم، فالتدين الشعبي لدى العامة له جانب ديني يستمد منه اصوله ومعتقداته، حيث تأتي مكانة الأولياء بعد مكانة الأنبياء، حيث الاعتقاد فى مدى التقارب بين طبيعة روح الأنبياء وأرواح الأولياء من حيث القرب الإلهي الناتج عن عدم ارتكاب المعاصي والذى ينتج عنه قداسة ونزاهة الروح مما يجعلها محل استقبال هبة الله لها من الكرامات والخوارق والقدرة على تحقيق حاجات العامة، فمثلما يتوسل البعض فى دعائهم بالصلاة على النبي محمد ﷺ، يتم التوسل بالأولياء على اعتبار أنهم على درجة متقاربة من القداسة مع الانبياء، كما يرى الباحثين أنه بانتهاء الرسل مازالت لدى بعض العامة حاجة إلى أحد الرموز البشرية القريبة التي يضاف إليها صفات القداسة ففي ظل انتهاء عهد الرسالات السماوية والرسل خلقت العقلية الشعبية مقامات الأولياء كملجأ وملاذ آمن تحتمى به من مصاعب الحياة وتخوفات الواقع والمستقبل والغيبيات فهي حاجة نفسية تعويضية لغياب الرسل وربما القادة الموجهين والملهمين على نطاق آخر. كما يؤكد (دويدة،٢٠١٥) ظاهرة زيارة الاضرحة تنم فى جزء كبير منها عن تقديس لقوى خفية خارقة لكنها مثلت فضاء حرا للتنفيس عن الضيق النفسي، ومجالا للتواصل مع الناس .وتعد مقامات الأولياء فضاء مقدس للعلاج النفسي والبدني، بل واشباع العديد من الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية ، كالرغبة فى الزواج والعمل وما إلى غير ذلك، الأمر الذى جعل هناك نوعا من تصنيف الاحتياجات وتحديد الأولياء القادرين على اشباع تلك الاحتياجات، فهناك أولياء لتحقيق رغبة الباحثين عن الزواج، وهناك اولياء للباحثين عن عملوها يتفق مع ما ذكره (frembgen,2011) حيث أكد على أن عادة زيارة اضرحة الاولياء والاماكن

المقدسة من الأمور المقدسة للغسيل من الذنوب وتحقيق الرغبات وهى ممارسة شائعة فى جميع أنحاء العالم. ولكن من الملاحظ أن هناك إجماع من قبل عينة مجتمع الدراسة حول وصف الحالة النفسية التي يشعرون بها عند الدخول من باب المقام والتبرك بأعتابه، حيث تذكر مصادر الدراسة قائلة: -

" ندعي بسمية الشيخ غير كوسيلة لله باش يقضي لينا حوائجنا"

" كنصلي ونطلب الله تعالى ونتقرب منو بالأضرحة والسادات

ندعو باسم سيدي الشيخ فنأخذ منهم الوسيلة الي الله، فتقضي الحوائج

" الناس تزور كيطلبو الهداية من سيدي مشيش، وأنا جيت نزورو باش، كنجي باش نحط رجلي فالمقام الكبير ونحس براحة البال"

إن ذكر أسم الشيخ أو الولي فى بداية الدعاء هو نوع من الهيمنة الرمزية بل والذهاب إلى زيارة الولي قبل بداية مشروع معين أو ارتباط بزوجة ما أو التحاق بوظيفة معين للتبرك ونيل التوفيق نراه فى قمة الهيمنة الرمزية، فالمريدين لا يستطيعون أن يتخذوا قرارا دون الرجوع إلى الأولياء بل إلى الاضرحة التي يدفن بها الأولياء والشيوخ، ولعل هذا الأمر يحفى بين طياته نوعا من العنف الرمزي؛ ذلك العنف الخفي الذى يمارس فى مجال اجتماعي يتسم بالقبول والرضا التام من قبل الطرف الممارس عليه العنف، مع تقديم جملة من التبريرات لقبول هذا النوع من العنف مثل العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية التي تم تمريرها عبر عملية التنشئة الاجتماعية فى مجتمع يسوده العديد من الأولياء والمقامات والاضرحة. ويذكر فى هذا الصدد (توفيق،١٩٨٠) أنه لا يمكن انكار الأهمية التي تحتلها الأضرحة فى نفوس الكثير من المغاربة، حيث تحظى الاضرحة بالتقدير والتبجيل الشعبي، فعند الحديث عن الوظائف الاجتماعية للمقدسات يأتي فى مقدمتها المقامات والأضرحة فقد عمل الضريح على مدار التاريخ على تقديم العديد من الأدوار الوظيفية الهامة، فقد كان دائما دار لإيواء عابري السبيل وملجأ للشكوى وللتظلم ومأوى للمطارد، ومقصدا لفك عقدة العاقر والعانس والباحثين عن الرزق وتعد هذه الوظائف هي نتاج ما أوكله العامة للضريح من كرامات منسوبة اليه.

وفيما يلي سوف نستعرض تصنيف مجتمع الدراسة للأولياء من حيث من حيث الأدوار الوظيفية والمهام التي يقومون بها: -

١- اولياء ذو كرامات متعددة (متعددي الدور والوظيفة)

وهم الأولياء الذين ينسب إليهم القدرة على تحقيق أكثر من حاجة أو غاية للمريد فيرتاد هذه الاضرحة كل الفئات الاجتماعية والشرائح المختلفة من الاعمار على اختلاف غاياتهم سواء كانت هذه الزيارة بغرض الرزق أو العلاج أو التبرك أو الاعتراف بالخطايا وطلب المواساة أو جلب البركة ودفع سوء الطالع ومن الاضرحة التي تخصصت فى حل مشاكل الأفراد المتعددة سواء على المستوى الاجتماعي أو النفسي ما يلي: ضريح سيدي أبو الليوث، ضريح سيدي محمد مول عين السبع، ضريح سيدي محمد جامع الشلوح. كما تذكر أحد مصادر الدراسة قائلة: -

" هناك ضريح سيدي بنعاشر وهو يعالج المرضى النفسيين بوضعه فى غرفة منفردة وربطه حتى الا يؤذى نفسه فى حالة الهياج، ويقفل عليه باب الغرفة ويبقى بها حتى يهدأ أو يضعف جسده ويتوقف عن الصراخ، ثم يفتح الباب ويقرا عليه قرآن كما انه يعالج ايضا السحر، ويوسع الرزق ويجد حلا لكل المشكلات"

" ضريح سيدي محمد عين السبع له قدرات خاصة فى كل شيء يستطيع أن يقضى كل طلبات الزائرين ولا يوقفه أي طلب"

" المشكل المادي اول شي يجبر الناس تذهب ديال الشيخ، البنت تطلب السيارة والدار وفراش راقي، والرجل منين يأتي بكل هادشئ"

" هديك الضربة الي تضربها ورمات ليه وخمجات، وبدا كيخرج منها الدم والقيح، وبدات غادة وكتغراق فاللحم... هو كان كيقول هدي غير عوينة خايبة حسداتني ... وحيث مكانش عندو الوقت بش يسافر للمدينة يشوف الطبيب، وحتى العروبية فين عايش مفيهاش طبيب اختصاصي ولا غير مستوصف، فراه امشى غير عند واحد الفرملي كاين عندهم فالعروبية داوا ليه الضربة ... وامشى موراها للسيد ودا معاه طرف ديل الثوب اخضر وعلقو عند السارية تع الضريح، ودا معاه الماء ودخل وحطو فالضريح وبدا كيدعي ويطلب بركات السيد ينزلها ليه فالماء، وملي رجع لدارو كان كيشرب من هداك الماء المبروك كيفما كيعتقد، مرة مرة أما هداك الثوب الأخضر فقطعو لشريوطات وحدة حزمها فايدو بش تحميه من العين الخيبة والي بقا عطاه لخوتو وخواتاتو، هو دابا لاباس عليه فصحتو كيفما قال ولكن لاطراس تع الضربة باقا معلمة فاللحم ديالو.

" انا عندي الحسد ونصحوني نزور السادات ونمشي عند الراقي"

إن فكرة التبرك والحصول على الشفاء من الولي يوضحها (الزاهي، ٢٠١١) فى مؤلفه المقدس والمجتمع قائلا: أن امتلاء الزوار ببركة شيخهم تتم عبر سلوكيات جسدية أساسا، مثل تقبيل الضريح، وتلمس " كسوته ثم تمرير اليدين على الوجه والصدر، بعدها يتم الجلوس إلى جانب قبر الشيخ والإسرار له بالمطالب والشكاوى. على هامش هذه الأفعال يتم ملأ الجسد بكل ما يوجد داخل فضاء الضريح، حيث يتم شرب مائه وشم روائح بخوره، والنوم تحت ظل حضوره، والاستماع للأذكار الملقاة فى حضرته. وبفضل هذه الأفعال الجسدية الرمزية يتم انجاز اللقاء المباشر مع الشيخ، والتشبع ببركته ونتيجة لذلك تتحول الروح إلى عضو جسدي.

٢- أضرحة مخصصة لتوفير فرص العمل

هناك من الاضرحة من عُرف عنه قدرته على توفير فرص عمل للمريدين، فقد يعتقد البعض أن هناك بعض من الاولياء يختصون بقدرتهم على توفير وظائف للزائرين، فكما هو معروف ان ازمة البطالة تمتد الى جميع بلدان الوطن العربي بما فيها المغرب والتي تعانى بدورها من البطالة وغياب فرص العمل والتي تغدو بطبعها الى العديد من الاسباب المتشابهة مع كل دول المنطقة وفى ذلك عرف عن بعض من الاولياء قدرتهم على توفير وظائف للعاطلين وإبراز الكرامة بتوفير فرص عمل لمريدها حيث يذهب أفراد العينة إلى ضريح (مول الصبيان•) والذي غالبا ما يرتاده الرجال فقط طلبا للعمل. وتؤكد على ذلك أحد مصادر الدراسة قائلة:

" الناس كيطلبو الهداية من سيدي مشيش، وأنا جيت نزورو كنحط رجلي فالمقام الكبير ونحس براحة البال، كنزورو بش ربي يوسع عليا فالرزق"

•) سيدي محمد مول الصبيان كان كرابا يحمل المياه للبيوت مقابل كسره خبز او حفنتي زيتون وكان يسافر يحضر الاعشاب من مراكش مشيا على الاقدام واشتهر عنه قدرته على علاج المرض مقابل نقود. كم اشتهر عنه قدرته على توفير العمل للشباب من سن صغير.

" أنا جيت بش نطلب شي رزيق نعيش بيه. هد الدنيا مكترحمش وبنادم حتى هو مكيرحمش. يكفيني غير راحة البال والهنا والباركة الي كنحس بيها كل مرة كنجي نزور"

" ضريح مول الصبيان مختص بتوفير الوظائف للرجال، فيذهب إليه الرجال فقط لطلب العمل"

" يقال إن ضريح مول الصبيان يستطيع توفير وظائف للعاطلين ولكن لا تذهب اليه النساء"

" انا من عائلة فقيرة بهاد المعنى والاب دياي كيتقاتل باش يجيب لينا مناكلو. مكينش الخدمة. دكشي باش كنمشيو للأولياء باش نفرج همي"

" البطالة مكيناش الخدمة وحقوق مكينينش"

ويمكن القول إن الاعتقاد فى اختصاص ضريح مول الصبيان بتوفير وظائف للرجال فقط هو فكرة تعود الى مئات السنين منذ أن كان الرجال فقط هم المسئولين عن العمل خارج المنزل ولذلك مازال لدى العامة هذا الاعتقاد.

٣- اضرحة الخصوبة والانجاب

مثلما كانت هناك أضرحة لتلبية احتياجات الأفراد النفسية والاجتماعية وتوفير الوظائف فهناك من الاضرحة مما اتسمت بقدرتها على تحقيق أمنية زائريها ورزقهم الذرية فالقدرة على منح المرأة الخصوبة ورزقها بالأبناء تعد أحد كرامات أو هبات بعض الاضرحة كضريح سيدي بوذيان والذي تذهب إليه النسوة الراغبات فى الإنجاب بحثا عن تحقيق أمنيتهم فى الرزق بالذرية، وإن من شروط تحقيق امنية المريدين الإيمان التام بقدرة الولي والتسليم التام بذلك. وتذكر فى هذ الصدد أحد مصادر الدراسة قائلة:

" من مور عامين ديل الزواج، مزال اختى مقدرتش تولد، كانت كتظن باللي السباب هو مرض الشقيقة الي عند راجلها واللي عاد عرفوه مؤخر ملي دارو التحاليل، وهد الشي الي خلاها تبدأ تمشي بزاف للسيد (الضريح)، وفي كل مرة كانت كتمشي تزور، كتبقى تبكي من قلبها وتطلب الله يشافي راجلها ويرزقها الوليدات، بجاه النبي والأولياء الصالحين، وفعلا مور عام ديل المشي والمجي للسيد، قدرات تولد وليد، مع أن راجلها مزال مريض وحالتو كيفما هيا... هدشي خلاها تآمن باللي هدشي من بركات السيد وزياراتها ودعواتها الي قبلهم هو ما الي عونوها بش تولد"

" ضريح سيدي بوذيان• من الأضرحة التي تحقق الخصوبة للمرأة، وتعطيها الذرية وتذهب إليه النساء للعلاج وشاهدث كثيرات رزقن بالذرية بعد زيارة هذا الضريح رغم عقمهن لسنوات قد تصل لعشر وخمسة عشر عاما قبل زيارة الضريح"

٤- أضرحة ربط العقود والمواثيق:

يختص هذا النوع من الاضرحة بقدرته على إقامة العقود والمواثيق فيذهب الأفراد إلى الاضرحة لإبرام العقود، حيث تعد القوة الإلزامية التي تضفي على الميثاق عقد فى الضريح اقوى من القانون، ويعد فسخ العقد بعد إبرامه أمام الولي أحد أسباب جلب سوء الحظ والحيرة للفرد، فقدسية المكان

•) سيدي بوزيان عرف عنه انه كان فقيها يعلم الاطفال القران ويحسن لحفظهم وانه كان تقيا وحافظ القران، وكان يعيش معه ثعبان كبير كان يخرج من داخل مبنى الوالي ويمر من جانب الزوار دون ان يؤذي أحد. ويشتهر بعلاج العقم

تضفي نوعا من القداسة على العقود المبرمة، ومن الاضرحة التي عرف عنها ربط العقود ضريح سيدي مبارك بوكدرة•، وتذكر أحد مصادر الدراسة:

" تأتى الناس من كل الاماكن إلى سيدي مبارك لحفظ العقود، فهو عرف عنه الأمانة والصدق كما أنه يعاقب كل من يفسد العقد أو يخونه فالناس تأتى اليه ليحفظوا عنده أماناتهم"

" سيدي مبارك يرد الأمانات ويحفظ العقود وما يعقده سيدي مبارك لا يمكن لبشر أن يفكه"

يتضح مما سبق الاعتقاد فى تخصص ضريح سيدي مبارك بإبرام العقود والذي ترجع إلى ما عرف عنه اثناء حياته من نزاهة وأمانة، وبالتالي فإن بعض الصفات الملحقة بالأضرحة هي امتداد لصفات أُلحقت بأصحابها فى حياتهم.

٥- أضرحة خصصت لطلب الزواج

تؤكد العديد من الدراسات كدراسة (وأعراب، ٢٠٠٧: ٦٩) على أن مشكلة العنوسة من المشكلات المؤرقة بالوطن العربي عامة، فدائما ما كان تأخر الزواج أحد المشكلات الهامة التي يسعى الفرد لحلها ومحاولة البحث عن سبب يعزو إليه هذا التأخير، وربما قد يعتقد البعض فى وجود الحسد أو العين أو قوى خارجية – مس من الجن- كأسباب لتأخير زواج الفرد أو عدم توفيقه لإتمام الزواج، وبالتالي كان اللجوء إلى الاضرحة إما طلبا للزواج أو فك لسحر تأخر الزواج أو إبطال لعين عائن منعت عن الفتاة خطاباها وغيرها من الأسباب. وتذكر إحدى مصادر الدراسة قائلة:

" سيدي محمد السلطان وسيدي بو لمجر من أشهر المقامات لفك سحر تأخر الزواج وجلب الزوج، وتذهب إليه النسوة لطلب الزواج"

البنات باغين يتزوجو، والحياة صعابت نلجا ليهم نبغي عروس مزيان"

" نلجأ إليهم نبغي نديرو عرس مزيان، شو نبغي ندير نلجا إليهم، كانتساو رأيهم شو ندير.

" خواتاتي كان عندهم ٤٠ عام ومزال متزوجوش داكشي باش بغاو يمشيو لسيدي الشيخ"

" نلجأ ليهم باش يسرو اموري وندير العرس"

المبررات الانثروبولوجية لاستمرار ظاهرة زيارة الاضرحة والأولياء:

يكتسب الرمز دلالته من النسق الثقافي، ولعل التحدث عن دور رأس المال الرمزي لدى الولي – الذى تحددت مؤشراته في الانتساب إلى النسب الشريف، والصفات الحميدة، وحفظ القرآن الكريم، والكرامات التي قد تظهر في حياة الولي أو بعد مماته- في استمرار ظاهرة زيارة الاضرحة ومقامات الاولياء جسد بصورة امبريقية واقعية كيفية تفسير الرمز واكسابه الدلالة الاجتماعية، فرأس المال الرمزي للولي يتكون في بنيته من مجموعة من الرموز يصبح مالكها صاحب مكانة اجتماعية مرموقة بل وهالة رمزية تكسبه العديد من الامتيازات والحقوق كالاحترام والتبجيل بل والتقديس، ومن ثم يصبح الولي ذو قوة وهيمنة رمزية يشعر المريدين في حضرته بالأمن النفسي، وفي سبيل تحقيق هذا الامن بأشكاله المتعددة كان لابد من اختلاق قوه الداعمة للخير او لديها القدرة على مواجهه ومنغصات الحياه التي تعد فى نظر عينه الدراسة هي مصدر الالم والشرور لهم في الحياه لذلك كان لابد من وجود ذلك

•) مقام سيدي مبارك ابو كدره، كان معروفا بأمانته وسط الناس حيث كانت تودع عنده الودائع، وكان يربط العقود والمواثيق ويحل اسباب النزاع ويقصدون الناس سيدي مبارك لرد اماناتهم التي سرقت منهم.

الولي ذو القوه المتمثلة فى (راس المال الرمزي) المستمد من اتصاله بالعالم الاخر لمساعده هذا الانسان الضعيف في مواجهه الواقع بشروره ومخاطره، فهو دائما في حاجه الى نموذج مثالي للقوه التي افتقدها بحسب وضعه فى الطبقات الكادحة، الأمر الذي دعمته اراء عينه مجتمع الدراسة من خلال اصرارها على أن الكرامات لا تنقطع بالموت او ان المدد لا يشترط قائل ولا يشترط بقاء صاحبه على قيد الحياه لمد العون وانقاذ اتباعه لقد اصبح الولي هو ذلك الزعيم والقائد و البطل الذي يدافع عن اتباعه ومريديه وينقذهم من شرار الواقع وايذاء الاخرين، انه الملجأ وربما يرجع ذلك الى جانب اللاوعي في عقل عينه مجتمع الدراسة والتي دائما ما تبحث عن نموذج الام الحنونة والاب الحامي الذي يخلصهم من شرور الحياه . وربما يعكس اعتياد البشرية على وجود الرسل وظهور انبياء ومع انتهاء عهد الرسل السماوية اضحت الحاجة للبحث عن اشباه الرسل للوساطة بين الارض والسماء وفى ضوء المعتقد الشعبي نجد أن الاولياء لا تموت فهم لا يزالون احياء داخل اضرحتهم يتدخلون لصالح مريديهم وربما وايضا تعكس فكرة الولي بقايا الفكر الاحيائي والتي تفترض وجود الروح او المانا في كل عناصر الطبيعة .وبذلك يتضح لنا : أن زيارة الاضرحة شكلت متنفسا وخروجا عن العالم المادي إلى العالم الروحي، ممثلا فى رمز الولي الصالح، واعتبرت محاولة للهروب من الحياة الدنيوية إلى الخيال المقدس. كما أن هذه الظاهرة مثلت تواصلا بين الماضي والحاضر عند استذكار فضائل وكرامات أصحاب الأضرحة. وفى ضوء ذلك نتفق مع إدموند دوتي (E. Doute) حول أسباب ظاهرة زيارة الأضرحة، وتمسك المجتمعات المغاربية عموما بها إلى رغبتهم الكبيرة فى التمسك بدينهم، وقدم تفسيرا لذلك يكمن فى أن عدم وجود وسيط بين الإنسان وربه فى الدين الاسلامي يجعل الإنسان يبحث عن سبل لنيل مرضاة الله، ويتقرب إليه، وأنه يجد ضالته فى زيارة الولي الصالح باعتبار مكانته ومستواه من التقوى والصلاح (دويدة، ٢٠١٥: ١٧). وفى ضوء ما تقدم يتضح لنا إن الناس يزورون الأضرحة من أجل شفاءهم الروحي والرضا والتماسك الاجتماعي وإدارة الاجهاد النفسي حيث يصف العديد من المترددين وضعهم المعيشي بأنه مرهق بسبب الفقر والعنف والعلاقات الأسرية غير السوية واستمرار المشاكل الصحية دون علاج وانعدام السلام الداخلي وهذا يتفق مع دراسة (charan,2018) عن زيارة الاضرحة فى باكستان، كما تؤكد دراسة plateau,2011). أن الهدف من زيارة الأولياء هو انجاح العلاقات الاجتماعية، وإدارة حياتهم الاجتماعية والنفسية والتخلص من مشاكلهم كما ذكر(levin,2008) .

وفى ضوء ما تقدم يمكن أن نحدد نتائج وتوصيات الدراسة في ضوء النقاط التالية:

١- يمتلك الولي أو صاحب الضريح رأس مال رمزي من خلال عدة مؤشرات وهي: حفظ القرآن الكريم، النسب الشريف، السمعة الطيبة، السيرة الحسنة، الكرامات.
٢- يلعب رأس المال الرمزي دورا حيويا فى تزايد الاقبال على زيارة الاضرحة ومقامات الأولياء.
٣- يمارس الولي أو الضريح هيمنه رمزية نتيجة امتلاكه لرأس المال الرمزي على مريديه تتحدد فى التزام آداب الجلوس، وعدم الحديث فى حضرته، والتصدق لنيل بركته، والتمسح بمقامه الكريم، وتقبيل اعتابه.
٤- يمتلك الأولياء مكانة اجتماعية مرموقة فى المجتمع المغربي بدء من الاهتمام الشعبي وانتهاًء بالاهتمام الرسمي من قبل الدولة.
٥- يوجد تصنيف لمهام ووظائف الأولياء فى المجتمع المغربي، فهناك أولياء تساعد على شفاء المريدين، وعلى علاج العقم، وابرام العقود والمواثيق، وتيسير الزواج، وغيرها من الأدوار الوظيفية التي ارتبطت بكرامات الأولياء والأضرحة.

٦- المرأة المغربية هي أكثر مريدي الأولياء لرغبتها الملحة فى اشباع احتياجاتها النفسية والروحية، ولاعتقادها الشديد ببركة الأولياء.
٧- تمثيل زيارة الأولياء والاضرحة متنفسا للخروج من المستوى المادي إلى المستوى الروحي.
٨- النزعة الإحيائية لدى ابناء المجتمع المغربي تلعب دورا كبيرا فى تزايد الاعتقاد بإمكانيات وقدرات الولي.
٩- الاعتقاد فى الأولياء سمة ثقافية تنتقل عبر عملية التنشئة الاجتماعية فى المجتمع المغربي.
١٠-زيارة الاضرحة ومقامات الأولياء تعد بمثابة طقس رمزي اكتسبت سمة الاستمرارية عبر الأجيال في المجتمع المغربي ليصبح أحد ابعاد الهوية الثقافية في ذلك المجتمع.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات:

١- إجراء العديد من الدراسات الانثروبولوجية على الأولياء والاضرحة فى المجتمع المغربي وأثر ذلك على الوعي الجمعي.
٢- إجراء دراسات انثروبولوجية على التدين الشعبي (مظاهره وتأثيراته) على المجتمع المغربي
٣- إجراء دراسات انثروبولوجية لرصد الممارسات الثقافية التي تتم فى الاضرحة والمقامات للحد من سلبياتها وتعزيز ايجابياتها.
٤- القيام بدراسات انثروبولوجية حول اسباب تزايد اقبال المرأة المغربية على زيارة الأولياء والاضرحة فى المجتمع المغربي.

قائمة المراجع

أولا المراجع العربية:

أسامه، باحمد. (٢٠٢٠). دراسة انثروبولوجية لزيارة الولي سيدي الحاج ابن ناجي بولاية المدية انموذجا، مجلة هيروديت للعلوم الانسانية والاجتماعية، ٤(٤): ٦٠-٧٨.

أسامة، باحمد وزهرة، بن عاشور. (٢٠١٨). قراءة تحليلية سوسيولوجية لظاهرة زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين فى الجزائر، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، العدد ١٥، ص ١٩٠- ٢٠٤.

أم الخير، شتاتحة. (٢٠١٦). الممارسات الدينية ودورها بناء الروابط الاجتماعية المجال العمراني للضريح فى مدينة الاغواط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة، العدد ٢٢، ص١٧٩- ١٨٩.

ام الخير، شتاتحه. (٢٠١١). زيارة الاضرحة وأثرها فى إعادة تشكل الوعي الجمعي: دراسة ميدانية لضريح سيدي عطاء الله ببلدية تاجموت ولاية الاغواط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباج- ورقلة، الجزائر.

الأسود، السيد حافظ. (٢٠٠٢). الانثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية، الإسكندرية: منشأة المعارف.

الانصاري، ابن منظور. (٢٠٠٩). لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، المجلد الثاني، بيروت.

التابعي، كمال. (١٩٩٥). تغريب العالم الثالث: دراسة نقدية فى علم اجتماع التنمية، القاهرة، دار النصر للنشر والتوزيع.

الثعالبي، عصام طوالي. (٢٠١٦) مقامات الاولياء فى الموروث الشعبي الجزائري: مقام سيدي عبد الرحمان الثعالبي نموذجا: قلب ثقافة العاصمة، مجلة معابر، جامعة بن يوسف بن خلدة، الجزائر، ٣(١): ١٤٣-١٧٢.
الزاهي، نور الدين. (٢٠١١). المقدس والمجتمع، دار أفريقيا الشرق: المغرب.
الزيبارى، طاهر حسو. (٢٠١٦) التحليل الاجتماعي والأنثروبولوجي للرموز: دراسة تحليلية نقدية، مجلة زانكو الانسانيات، جامعة صلاح الدين، ٢٠(٣):٨- ٢١

المحواشي، منصف. (٢٠١٠). الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات في مجتمع متحول، مجلة انسانيات، العدد٤٨، ص١٥-٤٣.
توفيق، احمد. (١٩٨٠). مساهمة فى دراسة المجتمع المغربي فى القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط.
حجازي، مصطفى. (٢٠٠٨). التخلف الاجتماعي: مدخل لسيكولوجية الإنسان المقهور، القاهرة: المركز الثقافي العربي.
جودات، محمد. (٢٠١٥). الواقعي والأسطوري فى الثقافة الشعبية: مقاربة انثروبولوجية ثقافية، البحرين،٨(٣١).
جيلالي، سراج. (٢٠١٥). زيارة الأضرحة وأثرها فى المعتقدات الشعبية " ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا"، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، الجزائر.
خذيري، عبلة. (٢٠١٧). علاقة الزاوية بالأضرحة بمدينة الأبيض سيدي الشيخ، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور بالجلفة: ٨(٢): ٥٢-٥٨.
دويدة، نفيسة. (٢٠١٥). المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة فى الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة انسانيات، العدد ٦٨، ص١١-٣٤.
زرهوني، اسعد فايزة وبلوفة بلحضري. (٢٠١٨). تمثلات المرأة للفضاء المقدس، الاضرحة نموذجا. مقاربة أنثروبولوجية على عينة من النساء بمدينة وهران، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ١٧.(٣): ٤٩٩-٥٢١.
ساري، حلمي خضر.(2006) . سلوك الأفراد (التحادث) عبر الانترنت: دراسة فى الأبعاد النفسية والاجتماعية من منظور التفاعلية الرمزية، مجلة العلوم التربوية، ١٠(١٠):١٧-٥٢.
سراج، جيلالي. (٢٠١٦). الظاهرة للمقدس الضرائحي: ضريح سيدي يوسف الشريف أنموذجاً، مجلة دراسات اجتماعية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات، العدد ٢٠، ٢٣-٣٣.
سميث، شارلوت سيمور. (٢٠١٢). موسوعة علم الانسان: المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
سيد، عبد الحكيم خليل. (٢٠١٣). مظاهر الاعتقاد فى الاولياء، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
شقطمى، هناء& عمارة، علاوة. (٢٠٢٠). الحضور الولائي فى المغرب الاوسط خلال العصر الوسيط: عبد الرحمان الثعالبي أنموذجا، مجلة المعيار، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، الجزائر، ٢٤(٥٢): ٦٤-٨٦.
صالح، أبو طويلة. (٢٠١٩). اضرحة الأولياء في مدينة معان الأردنية من الفاعلية إلى الزوال: ضريح الشيخ عبد الله أنموذجا، مجلة انثروبولوجيا، ٥(١٢): ٤٥-٦٠.

عبد الرحمان، كلتوم. (٢٠٢٠). السلطة والآليات الرمزية عد بياربورديو، رسالة دكتوراة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر- بانته.
عبد القادر، سيدي عابد. (٢٠١٦). التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح: مقاربة سيكولو- انثروبولوجية، مجلة دراسات فى التنمية والمجتمع، جامعة حسيبة بن بو علي- الشلف، الجزائر، ٣(٥): ٢٣١-.٢٦٥
عثمان، دعاء رمضان. (٢٠١٧). الأنثروبولوجيا الرمزية: اسهامات كليفورد جيمس جيرتز، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بني سويف.
فراح، زينب. (٢٠١١). الزيارة النسوية للأضرحة. رسالة ماجستير، قسم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.

قشيوش، نصيرة، رحماني، نعيمة. (٢٠١٥). عادات زيارة الأضرحة والأولياء، مجلة الحوار الثقافي، الجزائر، ٤(٢): ١٣٩- ١٤٢.
كريب، ايان. (١٩٩٩). النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس. ترجمة محمد حسين غلوم. عالم المعرفة: الكويت، العدد ٢٤٤.
لطفي، طلعت والزيات، كمال. (١٩٩٩). النظرية المعاصرة فى علم الاجتماع، القاهرة: دار غريب للطباعة.

لوبروتون، دافيد. (١٩٧٩). الجسد والانثروبولوجيا: الفاعلية الرمزية، ترجمة بهلول، شريف، مجلة دجوجين، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، العدد ٩٧، ص٩١- ١٠٤.
ماضي، الطاهر سعد على. (٢٠١٥) دائرية الفعل الرمزي: نحو طرح جديد فى نظرية الثقافة، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد٧٥، ص ٣٥٠-٣٧٠.
محمود، عبد الرازق صالح. (٢٠٠٨). زيارة الاضرحة والمراقد: ضريح عمر مندان أنموذجا: دراسة اجتماعية طبية، مجلة دراسات موصليه، جامعة الموصل، ٧(١٩): ١١٧- ١٤٨.
مصطفى، احمد فاروق& إبراهيم، محمد عباس. (٢٠٠٤). صناعة الولي: دراسة انثروبولوجية فى الصحراء الغربية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
مليكة، بن منصور. (٢٠١٢). العلاج الغيبي وعلاقته بالتصوف: زيارة ضريح سيدي عبد الله بن منصور الحوتي أنموذجا، مجلة انثروبولوجيا الأديان، ٨(٢)

مناد، سميرة. (٢٠١٧). طقوس زيارة الاضرحة فى مستغانم: مقاربة انثروبولوجية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد ٤(٢): ١٢٨- ١٣٩
وطفه، على اسعد. (٢٠٠٩). البنية الرمزية والاسطورة للمقدس، المجلة العربية لعلم الاجتماع. مركز دراسات الوحدة العربية، ع٨. ص٣٥-٥٧.

وأعراب، مصطفى. (٢٠٠٧). المعتقدات السحرية وطقوسها فى المغرب، المغرب: دار الحرف للنشر.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

Abbas, Q., & Min Allah, A. (2015). People's Perception about the Effect of Sacred Things Placed at Shrines. International Journal of economics and business review, 3(7), 28-32.

Aksan, N., Kısac, B., Aydın, M., & Demirbuken, S. (2009). Symbolic interaction theory. Procedia-Social and Behavioral Sciences, 1(1), 902-904.

charan, I. A Wang, B., & Yao, D. (2018). Cultural and religious perspective on the Sufi shrines. Journal of religion and health, 57(3), 1074-1094.

Frembgen, J. R. W. (2011). At the Shrine of the Red Sufi. Karachi: Oxford University Press.

Korgen, K. & J.M. White (2008). Engaged sociologist: connecting the classroom to the community. Pine Forge Press.

Levin, J. (2008). Esoteric healing traditions: A conceptual overview. The Journal of Science and Healing, 4, 101–110.

Mohsen, A. S. (2014). The Ontological Concept of Sacred and Profane in Islam (analytic study). Global Journal Al Thaqafah, 4(1).

Platteau, J.-P. (2011). Political instrumentalization of Islam and the risk of obscurantist deadlock. World Development, 39, 243–250.

ثالثا: المواقع الاليكترونية:

https://www.minculture.gov.ma

The effect of symbolic capital of the pious man on visiting shrines in the Rabat city, Morocco: field study in anthropology

Mohamed abdelrady mahmoud salman **Marwa Mohamed Tohamy**

Abstract:

Objective: The study aims to Identify the effect of the symbolic capital of the pious man on visiting shrines in Morocco, and monitor the cultural practices associated with this visit. Methods: sample of study 15 informants in the Rabat city, Morocco. their ages ranged from 20-50 years; the interview guide was used as an essential tool for the study. It included four topics: first; focused on essential data and social characteristics; second; related to the indicators of symbolic capital of the pious man, third: Its monitors the Animism of the pious men's and their ability to satisfy psychological and social needs for the morocco society, The fourth: deals with the functional classification of the pious men's in Moroccan society, the study based on the anthropological method and symbolical interaction theory and interpretive theory as theoretical orientation. Result: The results showed that the pious man has symbolic capital through four indicators: memorizing the holy Quran, Good reputation, honor, Honest. The symbolic capital plays a vital role in the increasing demand for shrines. the pious man practices a symbolic Hegemony of his visitors Such as etiquette sitting, and the etiquette of the visiting, not to speak in His presence. the Animism plays a role in the increasing belief in the abilities of the pious man. Conclusion: the pious man practices a symbolic Hegemony of his visitors.

Key words: . Pious man; shrines; Symbolic Hegemony; Symbolic interaction theory.